معوقات الفقه المهجري الأقلي

المحددات المنهجية لكل فقه مَهْجَر(أقلّي) مستقبلي

يتوخى أن يكون أصيلاً ومسايراً ومنتجاً

الجزء الرابع

2) في التعامل مع السنة

أما بخصوص التعامل مع السنة فيقول دليل "*جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية*" في ولاية فرجينيا (مع تصرفنا في الترقيم بغية إبراز أهم الأفكار والمحاور[1]:

يخلص هذا المساق:

1) إلى بناء إطار منهجي للتعامل مع علوم الرواية والدراية بروح التجديد والإحياء، والعمل على فتح باب العمل في إعادة إنتاجها من منظور:

أ) يتخذ القرآن ميزاناً،

ب) وخصائص النبوة قواعد،

ت) ومقاصد الشريعة وقيمها الحاكمة معايير للفهم والإدراك الكلي الغائي.

وفي كل ذلك يتم تدريب الطالب:

على التعامل مع كتب السنة تعاملاً منهجياً يبتعد عن الانتقائية واللامنهجية والأحكام الذوقية...

ويعمل هذا المساق على إبراز فكرة كون السنة:

1) مصدراً للمعرفة الاجتماعية والإنسانية بالإضافة إلى كونها

2) مصدراً مبيناً للقرآن الكريم، بما يشتمل عليه من قيم وأحكام وكليات ومعارف وعلوم، لتتضح بذلك:

أ) الأبعاد الكلية للسنة النبوية

ب) وموقعها في إطار "الإبستومولوجيا!! التوحيدية"

ت) ووحدتها البنائية في ذاتها وفي طبيعة الوحي، وعلاقتها الموحدة مع القرآن الكريم

قلت:

[1] أنظر: دليل الدراسات العليا لسنة 1997 م/1998 م، ص. 44 - 45.

وسوف يعيد الدكتور **طه جابر العلواني** ، بـــصفته رئيـــساً ل "**المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية**" ورئيس "***جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية***" التأكيد على هذه الأفكـــار فـــي غير ما منشور من منشورات المعهد المنهجية.

2.1) التأصيل للفقه المهجري من منظور المعهد العالمي

ولعل خير ما نمثل به لسبر هذا الاتجاه، ما ورد فـــي: "**مدخل إلى فقه الأقليات: نظرات تأسيسية**" حيث جاء تحت عنوان فرعي: "**نحو أصول لفقه الأقليات**" جاء فيه[2]:

لذلك نقترح على أهل العلم جملة من المحددات المنهجية أو "الأصول" التي نرى ضرورة اعتمادها من قبل المفتي في فقه الأقليات، باعتبار خصوصية هذا الفقه، وباعتبار أن كل "فقه" يحتاج إلى أصول:

1) اكتشاف الوحدة البنائية في القرآن، وقراءته باعتباره معادلاً للكون وحركته!!،

تعليقي:

هذا كلام فضفاض وغامض بل ونقائضي من جهتين:

أ) جهة **اكتشاف الوحـــدة البنائيـة في القرآن**. وقد مر بنا أن تبني هذا المطلب من طرف أصحاب المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إنما جاءهم من حاج حمد رحمه الله، المشرب بالعِرفان والمولع بالرمزانية والإشارات الصوفية، والتي تتقاطع من هذا الجانب بالذات مع بعض ملامح المنهج البنيوي الذي كان سائداً في الأدب الغربي، إبان خمسينيات وستينيات القرن العشرين، كما فهمه حاج حمد بحكم انتمائه وتماهيه مع مثقفي اليسار العربي.

[2] صدر بمجلة "إسلامية المعرفة"، العدد التاسع عشر، لشتاء 1420 هـ/1999 م، ص. 9 - 29،

ويتميز المنهج البنيوي لتحليل النصوص[3]، كما تطور في الأدب الروائي الغربي، بكونه يعنـــى بإبراز كيفية التراكيب والمعاني التي تنطوي عليها عناصر النص في ترابطاتها وتآلفاتها الجامعة، بغية "كشف السرّ" الكامن الخفي، على غرار ما تقوم به الحكايات الغرائبية.

وقد تطور التحليل البنيوي إلى إجرائية صارمة تبدأ بالتحليل اللساني من جهة الـــصوت ثـــم يتدرج صعدا إلى البحث في التركيب النحوي، ومنه ينتقل إلى التحليل العلائقي، ليـــصل الـــذروة فـــي الكشف عن "سرّ النصّ" الكامن في "بنيته" والبحث فيما تنطوي عليه هذه الأخيرة من خاصية لسانية.

وتقنية كشف السرّ تقنية لم تخلو منها الحكايات القديمة سواء عند الهنود أو العرب، كما هو الحال في قصص ألف ليلة وليلة والملاحم الهلالية، وعند غيرهم من باقي شعوب العالم.

وخير ما يمكن التمثيل له في الأدب الغربي لفترة أوج البنيوية ما قام بـــه الناقـــد الفرنـــسي النفساني: جاك لاكان (Jacques-Marie Émile Lacan) (1901 – 1981) **في تحليلـــه لقـــصة "الرسالة المسروقة" لإدجار آلن بو. حيث سعى المحلل البنيوي لاكانً إلى معرفةُ أهمية السرّ وعلاقتـــه بالمعني الأدبي، لينتقل بعد ذلك إلى محاولة تأويل ذلك المعني، بطرح سؤالين:**

أ) هل المعنى ماثل في البناء اللساني للسرّ وحده، أم

ب) في الإدراك الجمالي الذي هو فعل من أفعال القراءة والتأويل؟.

قلت:

وتأتت مشكلة البنيوية بالأساس من محاولتها إسباغ العلمية على التحليل الأدبي من خلال تركيزها على منهج إجرائي تحليلي صفته الأساسية هي التكرار، للوصول إلي ذلك السرّ الكامن، وهتك حجابه.

---

[3] **تتأسس النظرية** البنيوية في النقد الأدبي على آراء العالم السويسري (فردنياند دو سوسور) والتيارات النقدية التي كانت سائدة في عصره، بغية إسباغ العلمية على النقد. وقد قال دو سوسير بأربعة مبادئ تبناها كل من جاءوا بعده: مبدأ ثنائية العلاقات اللفظية (وتؤصل للتفرقة بين الدال والمدلول)، ومبدأ اولوية الأنساق والنظم على العناصر ، ومبدأ التفريق بين اللغة والكلام ، ومبدأ التفرقة بين التزامن (سانكروني) والتعاقب (دياكروني). وقد لعب الشكلانيون الروس، وبالخصوص: عالم الصوتيات جاكوبسون دوراً بارزاً في إغناء الحركة البنيوية.

ومنهج التكرار، إن كان مفيداً في العلوم التجريبية، لأنه موصل إلى اكتشاف القوانين الكامنة من وراء الظواهر الطبيعية، إلا أنه قاتل ولا شك في الأدب، حيث لا يتصور وجود تشويق أو سر في الكشف عن سر على طريقة رجل مباحث متمرس من شاكلة أرسين لوبين في حكاياتها البوليسية!

والأدهى هو أن "كشف السرّ" في البنيوية كان لا يتمّ سوى بموت المؤلف، وهو ملحظ سبق للفيلسوف أفلاطون أن قال به، قبل أن تبعث فيه الروح من جديد من طرف البنيويين، وأضافوا له تباعاً بالتعميم: موت الإنسان نفسه!

والمُشاحة التي لي مع أصحاب المعهد في مقاربتهم، ليست في استعمالهم لآليات مستحدثة لدراسة النص القرآني، متى كانت ناجعة ومثمرة وحيادية، خصوصاً مع نص عالمي كالقرآن الكريم الذي يخاطب كل البشر، وإنما لكون هذا المنهج بالذات تبناه اليسار الأوروبي في خمسينيات القرن العشرين ليفرض على الساحة مذهبًا أيديولوجيًا، لا يمت إلى النقد الموضوعي بصلة، حيث صار العمل الفني لا يقاس بقيمته الفنية الذاتية وإنما بقيمته الأيديولوجية!.

فأن تفسر النص القرآني بمنهج هذه خاصيته لهو شطط في المقاربة، أما أن تتبناه كمنهج في التحليل، فهو قمة في الاستلاب، حتى ولو كانت نيتك وقصدك من الاستعارة المنافحة على القرآن بمثله، لأن الحق لا يحتاج إلى الباطل كي يُظهر محاسنه!

أضف إلى هذا أن البنيوية لن تسلم من النقد حتى بين الماركسيين أنفسهم، حيث برز تيار جذري مناهض للقراءة الوضعانية - البنيوية للماركسية، تزعمه عالم الاجتماع والفيلسوف الماركسي المجري الأصل: جورج لوكاش (Georg Lukacs) (1885 – 1971) صاحب كتاب: "التاريخ والوعي الطبقي" (*Geschichte und Klassenbewußtsein*)[4]، وخصوصاً تلميذه الناقد اليهودي والتاريخاني الماركسي الروماني الأصل: لوتشين جولدمان (Lucien Goldmann) (1913 – 1970) ، صاحب كتب: "الإله الخفي"[5]، و "من أجل علم اجتماع الرواية" (Pour une sociologie du roman)[6]، وغيرهما.

وقد ساهم جولدمان كثيراً في مناهضة البنيوية بصورتها الفرنسية.

---

[4] نشر ببرلين سنة 1923.

[5] نشر سنة 1955 عن دار جاليمار في باريس(Paris, Gallimard). وسيعاد طبعه سنة 1975 بعنوان مطول (Le dieu caché. etude sur la vision tragique dans les pensées de pascal et dans le théatre de racine)

[6] نشر سنة 1964 عن دار جاليمار في باريس.

فمن المعروف أنّ عِلْمَ الاجتماع الفرنسيَ الحديثَ، ولدَ مَع اليهودي دافيد إميل دوركايم ((David Émile Durkheim (1858 – 1917) ، وظل لفترة طويلة تحت هيمنة وضعانية أوغوست كونت(Auguste Comte) (1798 - 1857) مخترع اسم العلم كمنظورية فلسفية، قبل طروء تيار البنيوية المؤقت الوافد من موسكو في خمسينيات القرن العشرين.

ويندرج عملُ اليهودي لوتشين غولدمان تحت تقليدِ اجتماعي آخر، متأثر بقوة بالفلسفةِ التقليديةِ الألمانيةِ وبالنزعة الماركسيةِ في التحليل الاقتصادي، كما تمثلها أعمال عالم الاجتماع والاقتصاد الألماني: ماكس فيبر (Max Weber) (1864 - 1920) .

ويستند هذا التيار على كتابات إنسانية مبكرة لكارل ماركس الشاب ، خصوصاً المخطوطات الإقتصادية والفلسفية لسنة 1844. ويعرفون أنفسهم باسم: "الماركسيون الإنسانيون" ويعتبرون أنفسهم على طرفي نقيض مع أصحاب الميول الوضعانية في النظريةِ الإجتماعيةِ الأرثذوكسيةِ ل " المادية التأريخية "، التي تجعل من محركات التأريخ لَيسَ البشر، وإنما كيانات تجريدية مثل " قوانين التأريخ " أو كيانات غير حية مثل " وسائل الإنتاج"

ويُؤكّدُ الماركسيون الإنسانيون على العامل الإنساني وعلى الذاتانية، كنقيض للتفسيراتِ البنيوية للنظريةِ الإجتماعيةِ، كما نجد ذلك عند البنيوي الفرنسي لويس ألتوسر (Louis Althusser) (1918 – 1990) ومن حذا حذوه من شاكلة: الفيلسوف والناقد الاجتماعي بول ميشيل فوكو (Paul Michel Foucault) (1926 - 1984) ، والإناسي المهتم بالأعراق: كلود ليفي ستراوس (Claude Lévi-Strauss) (1908 - ....) والذين يركزون أكثر على عامل الأخلاق بدلاً مِنْ المشاكل الاجتماعيةِ النظريةِ في الماركسيةِ.

وفي حين كان العديد من يساريي فرنسا يؤمنون بعلموية "scientificity" الماركسية بثبات في الخمسيناتِ والستّيناتِ من القرن العشرين، أصرَّ غولدمان، المكتوي بنار الستالينية والمتأثر بأحداث: "ربيع براغ" بأنّ الماركسيةِ الممارسة من طرف موسكو والحزب الشيوعي الفرنسي التابع لها كرجع صدى، تمر من أزمةِ حادّةِ وعليها أن تُعيدَ إختراع ذاتها مجدداً وبشكل جذري إن هي رامت البقاء في الوجود.

لذلك رَفضَ وجهة النظر الماركسية التقليدية للطبقة العاملةِ من جهة وانتقد حركةِ البنيويين (structuralists) من جهة أخرى.

وقد اشترك في الندوة الشهيرة التي أقامتها جامعة جونز هوبكنز في العام 1966 ببحث حمل عنوان: "البنية: الواقع الإنساني والمفهوم المنهجي". وقد كان لهذا البحث مع بحث أخر كتبه الفرنسي جاك دريدا (Jacques Derrida) (1930 – 2004) : "البنية، العلامة، واللعب في خطاب العلوم الإنسانية" (Structure, Sign, and Play in the Discourse of the Human Sciences) أثرهما البارز حيث انقسم المجتمعون شطران: الأول قاده الفيلسوف والناقد الأدبي الفرنسي: رولان بارت (Roland Barthes) (1915 – 1980) بمعية كل من الناقد اللساني الفرنسي البلغاري الأصل المتخصص في السيميولوجيا (Sémiologie) (semeiology) (علم العلامات أو الإشارات أو الدول اللغوية أو الرمزية الطبيعية أو الاصطناعية): تسيفيتان تودوروف والناقد النفساني الفرنسي: جاك لاكان، والثاني قاده: جولدمان ودريدا.

وسوف تحتضن "جامعة ييل" (Yale) جاك دريدا ومن اجتمعوا حوله من النقاد المناهضين للبنيوية، ليؤسسوا معاً: "مجموعة نقاد ييل التفكيكية" (*Yale School of deconstruction.*) التي ضمت من بين أعضائها: اليهودي جوزيف هيلز ميللر (Joseph Hillis Miller) ، واليهودي البلجيكي الأصل: بول دي مان (Paul de Man)[7] (1919 – 1983)، واليهودي الألماني الأصل: جيوفري هارتمان (Geoffrey Hartman) (1929 -.....) واليهودي هارولد

[7] Paul Adolph Michel de Man

بلـــوم (Bloom Harold) (1930 – ...) أســـتاذ الأدب المقـــارن، كمنظـــرين فـــي التفكيكيـــة (*Deconstructivism*)، كنقيضة للبنيوية.

ويمكن اعتبار التحول من البنيوية إلى التفكيكية تحول طبيعـــي ضـــمن المنظومـــة الفكريـــة الغربية، التي تتبنى ثنائية: "الهدم" وإعادة "البناء" في مقارباتها التنظيرية. وهـــو تحـــول ســـيكون باتجاه المؤلف والإنسان لرد الاعتبار إليهما، بعد أن ظلا مجنوني مسكن في المقاربة البنيوية.

والغريب في أمر المثقفين العرب المتآكلين بهذه التراثية الغربية عنهم، ســواء ممثلـــين فـــي شخص المصري جابر عصفور المحسوب على اليسار بعد موت اليسار، أو المصري الآخر عبد العزيز حمودة (1937 – 2007) ، خـــريج جامعة كورنيل (Cornell) الأمريكيـــة [8] والمتخصص في النقد والدراما والأدب المسرحي في ثلاثيته النقديـــة: "المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك" (1998م)، و"المرايا المقعّرة نحو نظرية نقدية عربية"، و"الخروج من التيه" المناوئ لهـــذه المناهج من النقد الغربي التي تحاول أن تنزل نفسها على الساحة العربية، مع وعيه بكونها تختلـــف شكلاً ومضموناً عن الحياة العربية إن لم تكن مناقضة لها، لن يسلم بدوره من الوقوع في شـــرك مـــا حذر منه!

ولا يخفى أن حرب حمودة على البنيويين العرب المحسوبين على اليسار، وهو محـــق فيهـــا، حيـــث شخص عوارهم بقوله:

فالحداثيون العرب في أفضل حالاتهم ناقلون عن الحداثة الغربية وما بعدها أو مترجمون عن نصوصها، وفي أسوأ حالاتهم ناقلون من دون فهم ومن دون إدراك، لما أسميته في «المرايا المقعرة» بـ «الاختلاف الخطر».

ليضيف بتحد مطلق:

إذا كان باستطاعة حداثي عربي واحد أن يشير إلى فكر حداثي عربي صميم أفرزته الثقافة العربية ولم تتم استعارته من الثقافة الغربية أو الحداثة الغربية.

[8] حصل على الدكتوراه من الولايات المتحدة عن الشعر في نهاية التاريخ لفوكوياما، ويعد من المبشّرين بالحلم الأمريكي، حتى انه ألف كتاب "الحلم الأمريكي" ونشرته دار سعاد الصباح.

لم تكن نابعة من موقف متأصل من داخل مرجعيته، وهي الغائبة الحاضرة سواء عنده أو عند مناوئيه المدعين للحداثة فقط بالنقل عن الغرب، مادام تخصص الدكتور حمودة كان في الأدب الإنجليزي بالذات، بقدر ما كانت استجابة للإيديولوجية الأمريكية المناوئة، حيث أنه يوصف بكونه الابن البارٌّ للثقافة الأمريكية قبل تحوُّلِه إلى المشروع العربي التراثي القديم، حيث يقول عن اكتشافه له:

وكنت أتوقف في أحيان كثيرة عند نماذج من بلاغة عبد القاهر الجرجاني[9] والقاضي الجرجاني[10] والباقلاني في ما يشبه الذهول، حيث سبق البلاغيون العرب مقولات انبهرنا بها بغباء في القرن العشرين، وفي مقدمتها مقولات سوسير التي خرج من عباءة فكره الكثير من اتجاهات علم اللغويات والنقد الأدبي في القرن العشرين من دون استثناء يذكر

وهو ما ينبئك بمدى متاهة النقد لدى التراثيين العرب المحسوبين على اليسار وعلى اليمين سواء، مما لا ناقة للتراثية العربية ولا جمل لها فيهما معاً، فما بالك، أن تستعمل مثل هذه المناهج المختبرة بالإيديولوجيات في الشكل وفي المضمون، وخارج بيئاتها، للفقه عن الله سواء في كتابه المتلو: القرآن أو في كتابه المفتوح: الكون، من طرف المعهد المدعي تكريس نفسه من أجل "أسلمة المعرفة"، و"علم الاجتماع" بالذات، بينما هي تتتعتع ولا تكاد تبين!

فإذا ما أخذنا في الاعتبار كون اهتمام الحداثاوين العرب بالأدب في تيههم الأزلي بحثاً عن الموضوع المفقود وعن الذات المستلبة، لم يكن الدافع والمحفز له اهتمام متجدد بالذوق ولا بالجمالية على ما اعتاد من سبقوهم، كما حصل في جيل ما أطلقوا عليه، نقلاً عن الغرب أيضاً، جيل النهضة، بل كان اهتماما اجتماعيا يتوخى إعادة صياغة بنية المجتمع من أجل الاستئناف الحضاري المستعصي عليهم ما استعصى على سابقيهم، أدركنا الورطة المزدوجة للمعهد وهو يحاول سلخ الميت بعد وأده!

ب) **جهة الدلالة والمعنى**: حيث يستعصى على الفهم ما المراد بهذه القراءة القرآنية المقايسة للكون التي يراد لها أن تكون مُعادلة للكون المادي وحركته (الكواكب السيارة مثلاً) خصوصاً من طرف متخصصين في "علم الاجتماع"، الذين يبحثون في سلوكيات الأفراد والجماعات الإرادية اللهم إن كان المقصود هو بعث منهج المنجمين الذين كانوا يعتقدون بوجود مثل هذه الصلات والعلائق بين أبراج الكواكب والبشر فوق الأرض!

---

[9] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: 471 هـ) مؤلف "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة". وقد ألفها رحمه الله لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر. وهو ما لا نرى للمعهد من فتح بعده.

[10] أبو الحسن، على بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني (ت: 392 هـ) صاحب "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، و" تفسير القرآن المجيد".

وهو إرهاص لم يغب على حاج حمد، حيث نجده يقول، كما لاحظنا ذلك من قبل[11]:

ولكن يصعب دراسة الآثار المنعكسة للاتساع الكوني اللانهائي!!!! على مزاج الإنسان واتزانه العصبي. فالإنسان ليس منفصلاً مستقلاً عن جدل الطبيعة الكونية الذي تكوّن ضمنه ويتأثر به.

وهذا النوع من التفكير هو المولد لأنماط من السلوك غير السوي إسلامياً، حال ما تظهر الصورة التالية لمعاتيه من الطرقيين المغاربة في جذبة شيطانية، يظنون لبلاهتهم أنها تقربهم من الله زلفى، بينما لم يؤثر عن الرسول أو الصحابة أو التابعين الابتذال بمثل هذا المظهر الفج الشنيع.

ثلث:

يعتبر مفهوم "البنية" أحد المفاهيم الأكثر عرضة للجدل في العلوم الإنسانية، حيث أنه ولَّد منذ ظهوره الكثير من التفسيراتِ وأدى إلى استعمالاتِ متعددة ومتنوعة. وقد تولد الجدل حول هذا المفهوم لكون ظهوره ضمن علم الاجتماع سابقُ عنه في عِلْم الأنتروبولوجيا مثلا، كما استعمله فيها كلود ليفي ستراوس في تعريفه ل "الأنتروبولوجيا البنيوية" (*Structural Anthropology*).

ويختلف مفهوم "البنية" لدى الاجتماعي، عنه لدى الأنتروبولوجي القديم، عنه لدى الأنتروبولوجي البنيوي الحديث، عنه لدى اللساني، كما يختلف المفهوم أيضاً في العُلوم الطبيعةِ التي تَستعملُ هذا التعبير لوَصْف تنظيم الكائنات الحيَّة أو النظام البلوري كما في بلورات الثلج التالية 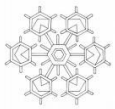 أو بلورات المكون الاصطناعي المكون من عناصر "الكربون- الأكسيجين – الفريون" التالي 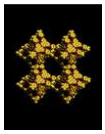 مثلاً.[12]

وعلى العموم ف "البنية" التي تدرس في العلوم الاجتماعية تختلف جذرياً عن تلك التي تدرس في العلوم الطبيعة، لكون الأولى ليست موضوعاً للقياسَ، ولا يُمْكِنُ أنْ تؤدي إلى التوقع بشيء محدد.

---

[11] أنظر الجزء الثاني من هذه الدراسة، ص. 15.

[12] Structure de COF-108 le cristal le plus léger synthétisé , 0.17 g/cm^3 (Crédits : José L. Mendoza-Cortés).

فتحليل البنى الاجتماعية لا يَستطيعُ مثلاً تَزويدنا بقراءة موثوق بها عن الحقائق الاجتماعية، وأقصى ما تبلغه هو أنْ تجدّدَ بَعْض الخصائص التفاضليةِ للأشياء.

وبإجمال فخاصية "البنية" في العلوم الإنسانية هي كونها لا تُشيرُ إلى حقيقةِ تجريبيةِ ملموسة على الأرض، وإنما إلى النماذج التي بَنيت طبقاً لهذه البنية.

و لا يشك عاقل في كون القرآن يحتوي فعلاً على بنيات بالجمع بحاجة إلى كشف، خصوصاً عند استحضار ما ورد في سورة "الإسراء"، الآية 8 من تحدي للثقلين معاً:

﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآن لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

بل تحداهم بالإتيان بعشر سور في سورة هود، الآية 13:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

وبالغ في التبكيت بأن تحداهم في أن يأتوا بسورة واحدة من مثله وأخبرهم أنهم ليس باستطاعتهم فعل ذلك في سورة البقرة، الآيتين 23-24:

﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

وبالأخذ في الاعتبار:

أ) امتناع أن يكون القرآن شعراً وبنص القرآن ذاته:

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾

﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (41) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (42)﴾

ب) كون الشعر العربي ينضوي تحت بنية معروفة لم تخرج عن بحور العروض الخمسة عشر للخليل بن أحمد الفراهيدي وهي: {الطويل , والمديد, والبسيط، والوافر, والكامل، و الهزج, والرجز, والرمل، والسريع , والمنسرح, والخفيف, والمضارع , والمقتضب, والمجتث، و المتقارب}،

ت) كون الشعر العربي من جهة منطلقاته ومواصفاته، بحسب رأي القاضي الجرجاني[13]:

[13] "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، ص. 64.

هو سحر ايحائي يحتوي الشئ وضده لأنه حساسية جمالية مغايرة للمألوف ومرادفة للخلــق وإبــداع على غير مثال سابق! انه في أبهي تجلياته خرق للعادة ومحاولة مستمرة لهدم الاحتذاء وقد جرى العمــل فــي ممارسته من قبل الشعراء مجرى قلب العصا حية!!!!.

ث) كون القدماء اجتهدوا أن يجروا بعض القرآن على وزن من هذه الأوزان الشعرية فلم يقدروا،

أمكن القول بأن الباحث في البنى القرآنية بالأساليب اللغوية أو النظمية القديمة لن يعثر في القرآن على ضالته ومبتغاه من خلال التأسي بهذه السوابق، خصوصاً وأنه سيكون لا محالة اقل باعاً بالعربية من روادها الأول.

ولا يبقى متاحاً للبحث المثمر سوى تفتيق عوالم الرياضيات لمساءلة النصوص.

وهو ما كان قد بدأ بمعالجه مع الأسف بعض البله الشاطحين المحسوبين على المتصوفة، حال المصري المدعي للنبوة: رشاد خليفة المغتال سنة 1989، دون تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في المسألة، حيث هاجر بعضهم معاودة البحث خوفاً من الوقوع في نفس الشطط!

وهو أمر بعيد الاحتمال، مادام المنهج الرياضياتي واضح وسهل التكرار، وينفث عنه الدعاوى غير المؤسسة على قواعد بيانية صلبة خارج التداول.

وأضاف العلواني في مدخله يقول:

واعتبار السنة النبوية الصادرة عن المعصوم ﷺ تطبيقاً لقيم القــرآن، وتنزيلاً لها في واقع معين، والنظر إليها كوحدة في ذاتها، متحدة مع القرآن، بياناً له وتنزيلاً لقيمه في واقع نسبي مُحَدَّد!.

2) الاعتراف بحاكمية الكتاب الكريم وأسبقيته، وأنــه قاض على ما سواه بما في ذلك الأحاديث والآثار. فإذا وضع الكتاب الكريم قاعدة عامة – مثل مبــدأ "البر والقسط" في علاقة المسلمين بغيــرهم – ووردت أحاديث أو آثار يتناقض ظاهرها مع هذا المبدأ: كالمزاحمة في الطريق، أو عدم رد التحية بمثلها أو أحسن منها، تعين الأخذ

بما في الكتـــاب، وتـأوُّلِ الأحاديث والآثـار إن أمكن تأوُّلها[14]، أو ردُّها إن لم يمكن ذلك!![15]....

تعليقي:

بخصوص النقطة الأولى، في قراءة الكتاب على ضوء الكون والعكس، فقد مـــر بنـــا عرض الإشكال وما كان لنا عليه من مآخذ.

أما بخصوص النقطة الثانية في كون الكتاب: قاض على ما سواه بما في ذلك الأحاديث والآثار، فيبرز بجلاء المنحى العبدوي، نسبة إلى الشيخ محمد عبده **رحمه الله، في هـــذه المقاربة الفقهية التي سبق لنا وأن انتقدناها على الشيخ محمد الغزالي السقا** **رحمه الله[16] ممثلها اللاحق، والذي ظل يُطوح بها فوق الأسطح يُمنة ويسرة في كل سجالاته مع المحسوبين على السلفية الحجازية.**

وقد ورث المعهد عن الشيخ محمد الغزالي، منهجه الدردشي العقيم وغير المنتج فقهياً، دون مراجعة تذكر!.

قلت:

والمفروض، من جهة الأولوية التفسيرية أن تكون:

السنة الصحيحة هي القاضية على القرآن وليس العكس

---

[14] أنظر لزاماً كتابنا: "التأويلية الإسلامية في ما ضيها وحاضرها ومستقبلها" لتقف على شطط استعمال مفهوم "التأويل" من طرف بعض الأصوليين أو بعض الفيارسة المعاصرين..

[15] فهذه إشكالية لا توجد سوى في عقول المنتمين إلى المعهد وفكره من المعتزلة أو العقلانيين الجدد!. لأنه يفترض إمكانية وجود تعارض ما بين العقل والنقل، وهو محال. وأكثر ما يرون فيه تعارضاً هو ناتج من قلة بضاعتهم في أحد المجالين أو هما معاً على ما سوف يتضح لك بعد قليل.

[16] أنظر كتابنا: "الانقلابات البولصية في الإسلام: المعهد العالمي للفكر الإسلامي نموذجاً

بمعنى أنها هي بمثابة تبيان وتفسير له، كما فهم الأقدمون منذ أن أصل ذلك الإمام الشافعي رحمه الله في: "الرسالة"!.

إلا أن المعهد، وهو يُصنف في عداد "القرآنيين" أي: الذين يقولون بكفاية القرآن وحده، دونما حاجة إلى السنة، بالرغم من حشرهم للسنة تبعاً، إلا أن هذا الحشر يتخلص منه عادة بضربة لازب، إما بالتصريح بأن السنة أخبار آحاد فلا يعمل بها، أو تجاهلها بالمرة، كما هو واضح هنا.

بل، وعلى وفرة وكثرة ما أصدر المعهد من مركزه في واشنطن أو فروعه في لندن أو ماليزيا، من رسائل بحوث ومؤلفات في المنهج والمنهجية والمناهجية، وكيفيات التعامل مع القرآن أو السنة، فإنه لم يزد بطروحاته تلك، على أن راوح مكانه عند ميزاب المشرب لا يعدوه، وبدون تغيير، أو إعادة نظر، أو تقييم، أو إنتاج، أو تقدم يذكر، حتى أمكن أن يُقال في حق المعهد ورواده، عموماً، وبحكم ما شربوا أو أشربوه من العبدوية، إلى أن شَكّلتهم ما قال القاضي أبو بكر بن العربي المعافري في القرن الخامس الهجري في حق شيخه أبي حامد الغزالي رحمهما الله:

{شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة فأراد أن يخرج فما قدر!}

فأقول إذن، مستأنساً بقول ابن العربي، وانطلاقاً من ذات الخلفية أو المقاربة أن:

المعهد دخل في بطن الشيخ ممحمد الغزالي ولم يخرج منه، والأخير دخل في بطن الشيخ محمد عبده ولم يخرج منه، والذي بدوره كان قد دخل في بطن شيخه جمال الدين الأفغاني

ولم يخرج منه، والذي كان قد دخل في بطن الفلسفة والتصوف الإشراقيين الشرقيين ولم يستطع أن يخرج من أي منها....،والذي... إلى ما لانهاية!

أي أنه وعلى امتداد قرون، لم يستطع قط، أيّ بطن من هذه البطون المتداخلة تداخل الدّمى الروسية، أن يلفظ نفسه خارج أي بطن آخر، ولا أن يتخارج بطن عن بطن! رغم الدعاوى العريضة في الاجتهاد والتجديد وعدم التقليد!.!، اللاتي يلوح بها كل بطن غولي! وليد، في الإعلان أو الدعاية لنفسه!.

3) وقفة مع المحددات المنهجية لفقه المعهد الأقلي

لاحظ أننا اخترنا عن قصد أن نذكر في عنوان هذا البحث: "المسايرة" ولم نقل "التجديد"!، مخالفين لنهج درج عليه بعض المعاصرين، الذين لا يعرفون ما يخرج من رؤوسهم.

ف "التجديد" والجِدَّة نقيض البِلى[17] والدين لا يبلى حتى يُجدد!.
وسُمي الليل والنهار ب "الأجدّان" أو "الجديدان": وذلك لأنهما لا يبليان أبداً.
وبهذا المعنى فالدين يجب أن يتسمّى ب: "الأجد"، أي الجديد دوماً، وهو الأليق به.

و"الجديد" هو ما لا عهد لك به، ولذلك وُصِف الموت ب "الجديد".
ولم ترد كلمة: "تجديد" في كل الكتب الحديثية التسعة[18]، سوى مرة واحدة في خبر، لا يصح[19]، لجهالة حال أحد رواته وهو شراحيل بن يزيد المعافري، ومع ذلك لم يَحُل هذا، دون استغلال هذا الحبر الباطل الذي لا ينطلي سوى على البله أو المغفلين، سياسياً!!!!.

وقد تفرد برواية هذا الخبر عن المعافري أبو داود وحده، من بين الكتب التسعة وجاء فيه[20]:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ [(ت: 253 هـ) وهو ثقة [21] ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ [(125 هـ - 197 هـ) وهو ثقة يدلس [22] أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ [(100 هـ - 161 هـ) وهو ثقة [23] عَنْ

---

[17] ابن منظور: لسان العرب (3: 111)، طبعة دار صادر، بيروت

[18] عدا في معنى: "تجديد الوضوء"، الذي يحتفظ تماماً بمعناه الدلالي أي الشيء الذي يتجدد دوماً دون أن يأتي بجديد. إذ الوضوء هو الوضوؤ لا يستحدث فيه شيء جديد فهو أيضاً يدخل ضمن مفهوم "الأجد" لتعاقبه مع انتفائه كل مرة، حال النهار مع الليل، يمحو بعضه بعضاً.

[19] لا يصح شيء في هذا الباب شيء وورد أيضاً بصيغة: {إن الله يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السن..} . أنظر كتابنا: "أحاديث في السياسة لا تصح"

[20] سنن أبي داود، "كتاب الملاحم"، باب: "ما يذكر في قرن المائة" الحديث رقم: 3740.

[21] سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ {بن حماد الواسطي المهري أبو الربيع المصري (178 هـ - 253 هـ) وهو ثقة من غير رجال الصحيح، لم يرو له سوى أبي داود والنسائي من بين الستة. أنظر: ترجمته في تهذيب التهذيب (4: 163) طبعة دار الفكر، ط. أولى 1404 هـ/1984م،

[22] عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، أبو محمد المصري (125 هـ - 197 هـ) وهو ثقة روى له الستة: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة. أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (6: 141/65) ، وتعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس 17/40، ط. أولى 1405 هـ/1984م، دار الكتب العلمية.

[23] سَعِيدُ بْنُ أبي أَيُّوبَ، واسمه مِقلاص الخُزاعي، أبو يحيى المصري (100 هـ - 161 هـ؛! أو 149، أو 162 هـ! أو 166هـ!) وهو ثقة ابن معين وابن سعد والنسائي روى له الستة. أنظر: تهذيب الكمال للمزي (10: 2241/342) ط. ثانية، 1409 هـ/1989م، مؤسسة الرسالة، بيروت، تهذيب التهذيب (4: 9/7)، طبقات ابن سعد (7: 516) طبعة بيروت. صسؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين" ص. 290/66، ط. أولى 1410 هـ/1990م، عالم الكتب، بيروت. الجرح واتعديل (4: 66/ 277).

شَرَاحِيلَ بْنِ يَزِيدَ الْمَعَافِرِيِّ[24] [وهو مجهول الحال]، عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ { وهو ثقة }[25]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[26] [(ت: 57 هـ)] فِيمَا أَعْلَمُ!!! عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ﴾

قالَ أبو دَاود عقب الخبر: رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ {(ت: 167 هـ) وهو ثقة}[27] لَمْ يَجُزْ بِهِ شَرَاحِيلَ

أي أنه لم يرفعه إلى رسول الله ﷺ ، وأوقفه على شراحبيل.

وهذا الخبر، وعلى علاته، كان معتركاً في أحد "الدروس الحسنية" الرمضانية أمام أمير الإفساد الممنهج بإطلاق وأحد أبرز طواغيت القرن العشرين الذين رُزء بهم الإسلام: الحسن الثاني! **، الذي أوهمه أحد وزراء وقفه، المتآكل بالدين والذي لا يخشى الله، وهو: الشيخ المكي الناصري** **: أنه هو مجدد القرن المأمول، ونجمه الساطع، الذي سيحول ظلمة المسلمين إلى سراج متوهج وقاد، مع أن بوائقه كانت طافحة كالشمس في واضحة النهار ويعرفها القاصي والداني[28]!**

وقد احتفظ الحسن الثاني لعائلة الناصري بتعويضاته كلها وكأنه لا زال حياً يرزق، لكن من خزينة الشعب وليس من ماله الخاص، اعترافاً له على تكالبه على الدنيا[29].

---

[24] شراحيل بن يزيد المعافري المصري (؟) مجهول الحال، وأدخله ابن حبان في كتابه "الثقات" على اصطلاحه الذي لا يُتابع عليه، في توثيق الرجال: أن الرجل إذا حدث عن ثقة وحدث عنه ثقة فهو ثقة!!!. فهذا يرفع جهالة العين لا جهالة الحال. تفرد أو داود برواية هذا الخبر عنه من بين السة. أنظر تهذيب الكمال (12: 2713/411)، "كتاب الثقات" لابن حبان البستي (4: 450)، ط. أولى 1400 هـ/1980م، حيدرآباد الدكن، "الجرح والتعديل" (4: 374/ 1631)، ط. أولى 1372 هـ/1952م، حيدرآباد الدكن ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

[25] الهاشمي الفارسي مولى عبد الله بن عباس قاضي إفريقيا. تحاشاه البخاري في الصحيح وروى له الباقون وثقه العجلي وقال أبو حاتم الرازي: أحاديثه صحاح... تهذيب التهذيب (12: 816/91)، "تاريخ الثقات " لعبد الله بن صالح العجلي (ت: 261 هـ) ص. 2005/506) وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات" (5: 576)، والجرح والتعديل (9: 2048/419).

[26] الصحابي عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني (ت: 57 هـ).

[27] عبد الرحمن بن شريح بن عبيد الله الإسكندراني، أبو شريح المصري (ت: 167 هـ)

[28] أنظر سلسلة الإصلاح الديني في الروزنامة الدينية المغربية على موقعنا هذا.

[29] وانظر ما سطره في حقه عبد الكريم الفيلالي في: "التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير"

والأدهى والأمر، هو أن الشيخ القرضاوي لم يتورع من حضور مثل هذه الدروس الملهاة، وفي عز ما اصطلح المغاربة على تسمية الفترة ب "سنوات الجمر والرصاص"، ليلقي درسه على ثلة من المجرمين من شاكلة: الجنرال محمد أفقير، وعبد الحفيظ علوي، وأحمد الدليمي، ورضا غديرة، وأحمد علوي،..من بين عشرات آخرين، لا يحضرون سوى لكون الحسن يرغمهم على ذلك، ولا يفقهون حرفاً من كلامه، ولا أنهم ممن يصلون أو يصومون أصلاً، وربما أتى بعضهم للتو بعد أن تقرب إلى الله بجلد بريء أو قتله أو تذويبه في حامض هدية من الموساد الإسرائيلي، حال أوفقير.. ليأكل من سحت الأوقاف على حساب فقراء المسلمين، وليتبادل الرأي خارج الزمان والمكان مع الحسن فيمن يكون المجدد من بينهما ؟؟؟؟:

أهو الحسن: الطاغوت ؟ ، قاتل والده، ومحتكر بيع الخمور بالمغرب، وناشر الرذيلة والفساد في كل مرافق الدولة، وقاتل الآلاف من الأبرياء بالظنة وبالاشتباه، والمزاول للسحر في سره وعلنه في كل أمر ذي بال، والماسوني اختياراً، والخائن لله وللوطن وللأجيال ولعموم المسلمين،.....

أم الشيخ القرضاوي ؟ المغفل سياسياً، والذي لا يفقه في الإستراتيجية، والذي انطلت عليه وعلى جيله حيلة المبادرة الأمريكية الإستراتيجية التي جندت الملك فيصل رحمه الله والإسلام من ورائه ضد الروس، فيما سمح بظهور ظاهرة ما عرف ب "الصحوة"!، ويستطيع القرضاوي أن يحاضر السباب العربي في عدة ولايات أمريكية، ويشهد تدربهم على السلاح ليصبحوا حطباً في أفغانستان، لتنقلب بعد قضاء العم سام لوطره منها إلى ظاهرة "الإرهاب"، وليتبني سياسة عدوانية مناقضة، ...والمبرر بحضوره لمثل هذه الدروس خارج الزمان والمكان والعديمة الفائدة للطغيان ؟،

بينما الخبر باطل لا تشتم منه رائحة النبوة!

فلنعرج إذن، على ذكر مساوئ هذه **المحددات المنهجية** التي تبناها المعهد العالمي للفكر الإسلامي والتي لا نرى نحن فيها، سوى **اللامنهجية بامتياز!**، والتي يراد بهـا إنتـاج الفقـه للأقليات المسلمة، على ما عودناك من منهجنا، مع لحاظ أن عملنا الانتقادي هذا، لا يجـب أن يفهم منه، الانتقاص من القدر، ولا من الجهد المبذول، ولا غمط ما للمعهد ولبعض رواده مـن فضل وجهود، بل وريادة في بعض مناحي وجوانب أخرى مما قد نتفق أو نختلف معهم فيها، أو تتقاطع اهتماماتنا المشتركة بصددها.

وهذا الملمح، يجب ألا يعزب على بال القارئ الفطن طرفة عين. إذ هو السمة البـارزة في منهجنا كله، عند التعرض لكل من تعرضنا له بالنقد في كل مؤلفاتنا.

فنحن ننتقد:

1) **إما فكرة نراها نحن خاطئة،**

2) **أو زلة من عالم يقلده بعض المقلدة**، تحسيناً للظن به في كل شيء، حتى يفضي بهم الأمر إلى رفعه فوق ما يجب شرعاً، سواء من مقامه أو علمه ونرى نحن، ونثبـت دائماً بدليل، **أنها زلّة قاتلة يجب تحذير المسلمين منها ومن تبعاتها**، لا تأخذنا فـي الله لومة لائم،

3) أو **منهجاً** نرى نحن إما: أنه قاصر، أو مبتسر، أو غير مثمر، أو ملفق، أو مهجن **يخلط ويمزج بين الإسلام ومرجعيات أخرى**، لا تمت إليه بصلة إما في: نهجـه، أو مرجعيته، أو روحه، أو مقاصديته ..إلخ،

وليس غرضنا من النقد، الذي لا تصحيح ولا تقويم ولا انطلاق حضاري بدونه ، لا الحط من علمهم ولا بخس حظوظهم منه، لأن فوق كل ذي علم عليم، ثم اتقاء محذور الوقوع في شرك ما حذرت منه الآية الكريمة المحكمة:

﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾[30]

4) النصوص بين العموم والتقييد والتخصيص

أول ما يجب ملاحظته، بادئ ذي بدء، هو أن الآية:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾[31]

تؤسس فعلاً لمبدأ التعامل ب "البر والقسط" مع كل مخالف للمسلمين في الاعتقاد، ما لم يبدأ المسلمين بأذى أو بعدوان ولا ظاهر عليهم. بل ينبني الحكم هنا على "البراءة الأصلية" في حسن الظن بأفراد البشرية جمعاء، وبأنهم رُكبوا فطرياً على الاستجابة للدعوة الإسلامية، ولا يحول بينهم وبين القبول بها سوى شياطين الجن والإنس، حتى يثبت العكس.

وحتى في الحالة الأخيرة، فهم ليسوا ميئوساً منهم في المطلق، بل فيهم من يمكن تأليفه وتحبيب الإسلام له أو على الأقل، تحييده، بحيث لا يضر الإسلام أو المسلمين، كما وأنه شرط من شروط التبليغ، ومن مستلزمات نشر الدعوة بين الناس، وهم من المخالفين وحتى إشعار آخر، رحمة للعالمين.

هذا المبدأ يؤيده مبدأ آخر محكم كذلك، وهو الوارد في منطوق الآية:

﴿وإذا حُيِّيتُم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها﴾[32]

فالآية هنا أيضاً محكمة وسياقها عام في وجوب رد التحية على كل من بادر المسلم بتحية ما، بأحسن من تحيته، كمبدأ عام أو على الأقل بمثلها، ما دامت "التحية"، وقد وردت في الآية نكرة: "تحيّة"، بمعنى العموم والشمول أي: أن كل تحية متجهة لمسلم، إلا واستوجبت الرد بأحسن منها "جهراً"، أو الرد بمثلها على الأقل.

---

[30] سورة الجاثية، الآية 17.
[31] سورة الممتحنة، الآية 8.
[32] سورة النساء، الآية 86.

لكن ماذا عن السنة التبيان، المنزّلة لمنطوقات القرآن وتصديقاته على واقــع النـــاس العملي حسب الزمان والمكان والظرف؟.

وهو ما سنحاول التعرف عليه الآن.

انتهى
ويليه الجزء الخامس:
فتوى رد السلام على اليهود والنصارى